هذا وقد كان الامام محمد عبده رحمه الله يقول : « ان الوطنية عند المسلمين لاتتعدى الفم الى الجيب » وحقيقة الامر اننا لازلنا الى الآن في طور الاقوال، نكتفي بالالفاظ الفخمة والنعوت العظيمة، ونشغل اوقاتنا في الحديث الفارغ وبناء العلالي من الاماني ونقترح الاعمال على الفضاء .

فان لنا جمعيات كجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين وجمعية قدماء تلامذة المدارس وغيرها من المشاريع ، وكلنا نتحقق فوائدها وما يمكن ان تاتي به من النفع في سبيل اصلاح الوطن ومع ذلك لا نرى لها من مساعد فعلا كما انه كان سبق لبعض اهل الغيرة في الرباط وفاس ان فتحوا على النمط العصري كتاتيب قرءانية استبشر العقلاء بها خيراً ولكن لم تجد لها من معين فما مضت عليها مدة يسيرة حتى خرجت من حيز الوجود الى العدم، ولو تنبه المسلمون الى سوء حالهم وشاؤا ان يصلحوها كما تطالبهم الحياة ويناشدهم الضمير ويامرهم الدين لكان الامر عليهم ايسر ما يكون، وقد يكفي لذلك ان تقوم في كل مدينة فئة عاملة تدق الابواب وتطوف على الدكاكين في الاسواق ولا تأنف في خدمة الوطن من ذلة السؤال ، وان ينفق اهل الفراغ والجدة من مواطنينا في سبيل الله قليلا من كثير الاوقات والاموال التي ينفقونها في الملاهي. (م.)

آراء وأفكار

المدنية والثقافة

بقلم الدكتور رضا توفيق

المدنية هي حالة اجتماعية تهيء للانسان جميع الوسائل والشروط الضرورية التي يستطيع بها ان يحقق الرفاه في الحياة على قدر طاقة البشر . وذلك بارتقاء الصناعة ونموها المتصل وتحسين الاوضاع الاجتماعية شيئاً فشيئاً . وهكذا فان شكل الحكم الموافق لشروط الحياة الاجتماعية في امة من الامم افضل من غيره من الأشكال لانه يضمن حقوق الافراد فيها . والمساكن الحديثة ارقى من الأكواخ الاولية الحقيرة لانها اقرب الى شروط الصحة ولوازم الرفاه . وكذلك الجسر الذي انشيء فوق النهر احسن من جذع الشجرة الملقى فوق الجدول .

فالمدنية اذن تابعة للوسائل المادية التي استطاع الانسان في ادوار حياته المتتابعة ان ينتزعها من المحيط ويسخرها لمقاصده العملية . واعني بذلك الوصول الى درجة عالية من الرفاه والراحة . هذا حال المدنية في ماضيها ومستقبلها .

وأحسن مثال على ذلك العصر الحجري وعصر النحاس وعصر الحديد وعصر البخار والكهرباء ، فانها ادوار تاريخية مختلفة تدل على أن الحضارة لا تغير الا الوسائط اما الغاية التي ترمي اليها فلن تتغير ابداً .

ومدنية العصر الحاضر لا تشذ عن هذه القاعدة لانها صورة جديدة متولدة من تطبيق الاكتشافات العلمية على الصناعة ، وغايتها لا تختلف عن غيرها . لان الحضارة انما ترمي دائماً لايجاد الرفاه وحفظه .

اما الثقافة فهي على عكس ذلك لانها ثمرة من ثمار التربية الاجتماعية التي توارثتها الاجيال وما برحت تنتقل من دور الى آخر حتى انتهت الى طور من الأخلاق والتفكير والادب لا عهد للانسان به من قبل . لولا الثقافة لما تكاملت معرفة الانسان بما يجب عليه نحو الانسانيه ، لولا الثقافة لما ادرك الانسان غاية اتساق الطبيعة البشرية في نظام الكون ولولاها لما رق ذوقه ولا لطف ولا اتسع خياله المبدع . والابداع هو المنبع الفياض الذي تنبجس منه صور الفن وتتغذى بوحيه الطبيعي اكتشافات العلم العجيبة . فالثقافة هي اذن بهذا المعنى صورة شخصية وطابع جنسي ، لا بل هي قوة حيوية تصان بها عبقرية الشعب ووحدته .

ولذلك كانت الحركة من شرائط المدنية لانها لا يمكن ان تقف وتجمد ، ولو جمدت لأشرفت على الهلاك كمدنية الصين الراكدة ، فلا حياة للمدنية الا بالحركة الدائمة ولا بقاء لها الا بالتقدم المطرد ضمن نطاق الاسباب الاقتصادية ؛ فاذا كان ضوء الكهرباء اجمل والطف وارخص وانسب فمن الخطل اضاءة المنازل بنور الزيت أو بنور (البترول) . ولذلك ايضاً كان لابد من الأخذ بالوسائل النقلية والتنظيمات التجارية والادارية وغيرها من مظاهر المدنية المختلفة .

فعلى المصلحين اذن ان لا يترددوا في تفضيل مظاهر المدنية الحديثة على مظاهر المدنية القديمة . لأنه لابد لهذه المظاهر من تغيير عاداتنا القديمة بالتدريج وتبديل اخلاقنا شيئاً فشيئاً . اما القضاء على الاوضاع الاجتماعية وهدم اللغة القومية وتبديل الثقافة والعقائد الدينية والخلقية واستبدال غيرها بها في سبيل التجدد فليس ذلك كله الا ضرباً من ضروب التهور والتيه الباطل . لأن لهذه الاوضاع الاجتماعية صلة بروح الشعب وحياته التاريخية ، فليس بالامكان تغييرها دفعة واحدة وتجريد الشعب منها كما يجرد البدن من القميص القذر . (عن مجلة الثقافة)

الكتب والنشريات

[السعادة والجامعة الاسلامية] كنا وعدنا بالرد على هاتين الجريدتين والانيان ببيان يظهر منه وجه الصلة بينهما ومعنى الحركة العدائية التي قام بها ضدنا بعض الافراد من مستخدمي السعادة العاملين خارج العاصمة . ولكن يسوءنا ان ناتي بذلك على صفحات المجلة فنقع في مثل ما يقع فيه كثير من الجرائد العربية من تسويد صحائفها بالردود والانتقادات على بعضها بعض والخطة التي توخيناها من فاتحة الامر وتريد المحافظة عليها دائما تقضي علينا بالتباعد عن هاته المسائل والتمسك باللهجة الهادئة التي تناسب اهمية المشروع . ثم ان (السعادة) صارت منذ اسابيع تبذل الجهود في سبيل ارضاء القراء وقد قرأنا لها مقالات قيمة (كحفلة الخير والاحسان — والرحلة الحجازية ، وغيرهما) تشعر بحياة جديدة وعمل للاصلاح بين مع اقتصاد في الالقاب تشكر عليه وهذه الخطة لايسعنا الا التشجيع عليها جريا على عادتنا من التجرد عن الغرض والاعانة على العمل من غير مراعاة للشخصيات واحب الناس الينا المصيب ولو كان عدواً وابغضهم الينا المخطيء ولو كان صديقاً . ولهذا وذاك نرى من المصلحة الاعراض كما كنا وعدنا به في العدد السابق ، وان وجب فيما بعد الرجوع الى الموضوع اوفيناه حقه في بيان يكون خارج المجلة والله نطلب ان يهدي الم. ماركو الى صرف مال المغرب في مصالح المغرب والاستاذ القاروقي الى التحري في الكتابة والتشبه في ذلك بالاستاذ مجاج نويهض صاحب مجلة (العرب) الغراء

هذا وقد عاب علينا بعض الاصدقاء ان نشرنا ما كتبته فينا (الجامعة) وقالوا ان في ذلك تعريفاً بهذه الجريدة من جهة واشهاراً لما رمتكم به من جهة اخرى ، اما نحن فنرى نشر ما يكتب فينا من الانتقاد او الشتم او السب من باب تنبيه القراء الى ما ربما نجهله فينا من العيوب .